البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة

* الدكتور : عبد المنعم عبد الحليم سيد

ملخص البحث :

اشتهرت مناطق البحر الأحمر فى العصور القديمة بأنها المناطق المنتجة للبخور ، وخاصة ذلك النوع من البخور المعروف باسم « الكندر » (وهو اللبان المألوف لنا) . وكانت أجود أنواعه تجلب من المناطق الواقعة على جانبى خليج عدن فى شمال شرق الصومال ، وفى شرق حضرموت ، حيث تنمو أشجاره . وهى نفس المناطق التى تنمو فيها هذه الأشجار فى الوقت الحاضر . غير أن سلعة البخور كانت أكثر رواجا فى العصور القديمة بدرجة كبيرة لا تقارن بما هى عليه اليوم من انزواء . وذلك بسبب احتياج القدماء لكميات هائلة وامدادات متواصلة منها لحرقها فى معابدهم ومقابرهم نتيجة لارتباط عقائدهم (الوثنية) بالسحر ، واعتقادهم أن للبخور قوة سحرية عند حرقها ، فكانوا على استعداد لدفع أغلى الأثمان فى سبيل الحصول عليها . هذا بالاضافة الى أن البخور كانت المادة الرئيسية للتعطير فى العصور القديمة .

لكل ذلك كانت سلعة البخور عصب اقتصاد المناطق المنتجة لها ، وأهم سلع البحر الأحمر ، مما دعا أصحابها وفى مقدمتهم العرب القدماء إلى بذل قصارى جهدهم لتأمين مناطق انتاجها (حيث تنمو أشجارها) داخل بلادهم ، وللسيطرة على هذه المناطق خارج بلادهم (الصومال) ، وكانت تجارة البخور (وغيرها من سلع البحر الأحمر وبخاصة سلع الترف) تسلك عدة طرق برية وبحرية من جنوب البحر الأحمر الى شماله . وأهم الطرق البرية كان الطريـق المتـد على الجانب الآسيوى بينما كان أهم الطرق البحرية يسير بحذاء الساحل الافريقـى للبحر الأحمر .

---

* استاذ مشارك ـ قسم التاريخ

سبحان الذى يغير ولا يتغير !! من من القدماء الذين قامت ثروتهم وثروة بلادهم على تلك السلعة الثمينة ، سلعة البخور ، التى كانت تشغل مركزا رئيسيا فى تجارة العالم القديم بوجه عام ، وفى تجارة البحر الأحمر بوجه خاص ، من كان منهم يتصور أنه سيأتى يوم تنزوى فيه هذه السلعة ، فلا تشغل إلا ركنا متواضعا من التجارة العالمية كما هو حالها اليوم !!

إن هذا الأنزواء لم يكن بسبب نضوب البخور من مناطق إنتاجها ، فمازالت هذه المناطق حتى اليوم بها إمكانات إنتاج البخور بنفس الكميات التى كانت تنتجها فى العصور القديمة ، كذلك لم يكن هذا الانزواء بسبب توقف استخدام البخور فى الأغراض التى كانت تستخدم فيها لدى القدماء ، فمازالت أغراض استخدام البخور اليوم هى نفس أغراض استخدامها قديما ، وهى التعطير والأغراض الطبية ، والطقوس الدينية لدى بعض الطوائف مثل الطوائف المسيحية واليهودية وغيرها . وإنما يرجع هذا الانزواء فى أساسه إلى انخفاض الطلب على البخور فى الوقت الحاضر بدرجة كبيرة بالنسبة للعصور القديمة نتيجة لعاملين أساسيين ، أولهما معرفة الانسان لأنواع من العطور أطيب رائحة ، وأقوى تعطيرا ، وأيسر منالا من البخور ، وبذلك حلت هذه العطور فى الأغراض الدنيوية محل البخور ، وثانيا وهو العامل الأهم ، تغير نمط التفكير الدينى اليوم عنه عند القدماء ، بعد أن استنارت عقول الناس بالرسالات السماوية ، ويتمثل هذا التغير فى تحرر الفكر الدينى من الارتباط بالسحر ، الذى كان يسيطر على العقائد الوثنية عند القدماء ، فقد كانوا يعتقدون أن للبخور قوة سحرية عندما تحرق فى معابد الآلهة أو فى مقابر الموتى ، وتتمثل هذه القوة فى جذب الآلهة إلى معابدها من أماكنها فى الفضاء ، وكانوا عندما يشاهدون حلقات البخور المتصاعدة وهى تدور وتتلوى فى الفضاء فى شكل دوائر وحلقات حلزونية — يتصورون أن هذه الأشكال ما هى إلا درجات سلم حلزونى تستخدمه الآلهة فى النزول إلى الأرض تجذبهم إلى المعبد رائحة البخور العبقة !!

هكذا كانت نظرة القدماء إلى البخور ، فهى لم تكن مجرد وسيلة لتعطير المعابد وإضفاء جو من الرهبة أثناء ممارسة الطقوس الدينية كما هو الغرض منها اليوم عند بعض الطوائف الدينية ، بل كانت لها منزلة وقدسية خاصة باعتبارها — فى نظر القدماء — الواسطة بين الآلهة والناس !!

وقد أضفى هذا التقديس على البخور نوعا من التحريم — شأن كل ما هو محل تقديس عند الشعوب البدائية أو القديمة — وامتد هذا التحريم إلى مناطق إنتاج البخور نفسها ، فقد كان الرجال الذين يجمعون محصول البخور فى جنوب الجزيرة العربية يخضعون لاجراءات صارمة — كما أخبرنا بذلك أحد كتاب الرومان من القرن الأول الميلادى[1] — منها عدم اقترابهم من النساء طوال موسم جمع المحصول وعدم اشتراكهم فى جنازة ميت .

وتظهر الصلة بين السحر وبين البخور بوجه خاص فى العقائد الجنازية (أى المرتبطة بالموت وبالدفن والمقابر) عند المصريين القدماء ، فبالاضافة إلى استخدامهم للبخور فى الطقوس الدينية فى معابدهم مصطبغة بالاعتقاد فى السحر شأن سائر الشعوب الوثنية القديمة ، فقد انفرد المصريون القدماء باستخدام البخور فى المقابر بطريقة تتمشى مع عقيدتهم الخاصة بالبعث والخلود بعد الموت ،

وهى ضرورة تخليد الجسم والروح . وكانت عقيدة المصريين فى هذه الناحية تغلب عليها الأفكار المادية الساذجة إذ اعتقدوا أن الروح فى حاجة دائمة بعد الموت إلى التمتع بالقرابين لاكتساب التجدد ، وبالتالى الخلود فى الحياة الأخرى ، ولاكساب الروح هذا التجدد كان لابد من استدعائها من آن لآخر لتقديم القرابين لها . وكان هذا الاستدعاء يتم فى مزار المقبرة الواقع فوق سطح الأرض بقراءة تعاويذ خاصة يصاحبها حرق البخور ، فتصعد الروح من مسكنها للتمتع بهذه القرابين . ولم يكن هذا المسكن سوى جثة المتوفى ، إذ اعتقد المصريون أن الروح تسكن الجثة بعد الموت كما كانت تسكن الجسم فى الحياة الدنيا ، ومن هنا كان لابد فى نظرهم من المحافظة على هذا المسكن من الفناء ، لهذا ابتكروا التحنيط وبرعوا فيه . وفى ممارستهم لتحنيط الجثة احتاج المصريون القدماء لكميات كبيرة من البخور لتعقيم الجثة لوقايتها من التلف ، ولتعطيرها وتعطير أماكن ممارسة عمليات التحنيط لتغطية الروائح غير المقبولة التى تتصاعد منها ، ثم لاجراء الطقوس الجنازية على المومياء (الجثة المحنطة) قبل الدفن .

هذه الأفكار التى انفرد بها المصريون القدماء عن سائر الشعوب القديمة ، كان لها دور كبير فى احتياج المصريين إلى كميات ضخمة من البخور والى مدد مستمر من هذه السلعة ، فكانوا أكثر الشعوب القديمة طلبا لها ، كما كانوا أقدم الشعوب التى خرجت إلى البحر الأحمر بحثا عن هذه السلعة وعن مناطق إنتاجها .

ومهما كانت سذاجة هذه الأفكار سواء أفكار المصريين القدماء من مادية الحياة الأخرى وما يتصل بها من تحنيط للجثة وتقديم القرابين للروح ، أو أفكار الشعوب الوثنية القديمة عامة (بما فيهم المصريون القدماء) بشأن ممارسة الطقوس السحرية لاستحضار الآلهة للمعابد ، فان هذه الأفكار كان لها الفضل الأكبر فى رواج تجارة البخور فى العصور القديمة ، رواجا جعل من هذه السلعة الدعامة الأساسية فى أقتصاد البلاد والمناطق التى كانت تنتجها .

ولكن أى نوع من البخور استخدمه القدماء فى هذه الأغراض ؟

فى الحقيقة هناك أنواع متعددة من البخور ، ولكن النوع الذى كان القدماء يفضلون استخدامه فى الأغراض التى ذكرناها هو النوع المعروف حاليا باسم « الكندر »[٢] ويستخرج من أشجار تنمو بريا فى بعض المناطق الواقعة على جانبى خليج عدن فى شمال شرق الصومال وفى منطقة ظفار فى جنوب غرب عمان شرق حضرموت (التى تتاخم الساحل الشمالى لخليج عدن كما هو معروف) . وسوف نرى فيما بعد أن هذه المناطق التى تنتج الكندر حاليا هى نفس مناطق انتاجه فى العصور القديمة .

والكندر عصارة شجرة تنتمى للعائلة النباتية المسماة علميا **Burseraceae** ثم للجنس **Genus** المسمى علميا **Boswellia** وتتفرع من هذا الجنس عدة أنواع **Species** أكثرها انتشارا فى المناطق التى ذكرناها ثلاثة أنواع هى : **Boswellia Carteri** وينمو فى كل من شمال الصومال وفى ظفار ، ولكن يكثر فى شمال الصومال (شكل ٦) ثم **Boswellia Frereana** ويكاد نموه يقتصر على شمال الصومال (شكل ٥) ثم **Boswellia Sacra** ويقتصر نموه على منطقة ظفار[٣] (شكل ١ ، ٢) .

وأشجار الكندر هذه تشبه شجرة الصمغ فى طبيعتها ، فيتسخرج منها الكندر بشق الشجرة فتسيل العصارة التى تتجمد فى الحال أسفل الشق ، وتختلف هذه العصارة عن عصارة الصمغ فى أن عصارة الكندر لا تذوب فى الماء لأنها ليست صمغا بل راتنج صمغى[٤] .

ولا تختلف طريقة جمع الكندر فى الصومال عنها فى ظفار فى الوقت الحاضر ، ففى ظفار يبدأ شق الشجرة فى السنة الثالثة أو الرابعة من عمرها ، ويبدأ موسم الشق من شهر مارس وطوال شهرى أبريل ومايو أى أثناء الفصل الحار عندما تكون الشجرة فى أقصى حالات امتلائها بالعصارة[٥] فتخرج العصارة على هيئة قطرات بيضاء فى شكل حبات اللؤلؤ تتحول بعد قليل إلى اللون الأصفر الباهت .

وبعد الشق تترك الشجرة لمدة ثلاثة أسابيع تكون العصارة خلالها قد تجمعت وتصلبت فوق اللحاء فتكشط وتجمع فى سلال .

والكندر فى الحقيقة ليس إلا « اللبان » المألوف لنا ، وأجود أنواعه المفضلة فى التبخير هو ذلك النوع الذى يطلق عليه فى اللغة العربية الدارجة اسم « اللبان الذكر » وكلمة « اللبان » هذه ذات أصل عربى قديم وردت فى نقوش المسند[٦] (شكل ٤) ، وقد انتقلت هذه الكلمة القديمة الى اللغة اليونانية فصارت **Libanos** وإن كان اسمه فى بعض اللغات الأوروبية مختلفا عن هذه الكلمة فهو فى الانجليزية يسمى **Frankincense** . أما كلمة « كندر » فهى حضرمية ترجع إلى أصل فارسى[٧] وقد انتقلت إلى اللغة العربية الفصحى ، ولذلك تستخدم فى كتب علم النبات العربية .[٨]

وتوجد فى ظفار ثلاثة أنواع من الكندر تختلف باختلاف المناطق ومدى ارتفاعها وابتعادها عن الساحل ، فالنوع الذى تنمو أشجاره قرب ساحل ظفار يسمى « شعبى » وهو أقل الأنواع جودة ، يليه النوع الذى ينمو على جبال القراء الممتدة وراء الساحل ويسمى « شذرى » وهو نوع جيد ، ثم النوع الذى ينمو فوق المرتفعات وراء الجبال ويسمى « نجدى » وهو نوع جيد أيضا .[٩] ويلاحظ أن الظروف الطبيعية تضافرت فى منطقة ظفار لتجعل من كندر ظفار نوعا ممتازا مما أدى إلى رواجه الكبير فى أسواق العالم القديم ، فالكندر يجود إذا نمت أشجاره فوق مناطق مرتفعة شحيحة المطر ولكن فى بيئة ملبدة بالسحب ، وهذه الظروف كلها تتوفر فى ظفار ، ذلك أن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المحملة بالرطوبة من جراء مرورها فوق البحر ، عندما تصل الى خط الساحل تتسبب فى تكوين ضباب وطبقات من السحب المتراكمة على منحدرات جبال القراء[١٠] ، فتتوفر بذلك الظروف الثلاثة الملائمة لنمو أشجار الكندر الجيد وهى الارتفاع والجفاف النسبى والجو الملبد بالسحب والضباب .

ومن الطريف أن كتاب اليونان والرومان القدماء وصفوا لنا الظروف الطبيعية التى تسود منطقة ظفار هذه فى القرن الأول الميلادى ، فقال أحدهم أن هذه المنطقة (التى أطلقوا عليها اسم « سخاليتس » كما سنذكر بعد) تتميز بأنها منطقة جبلية يسودها جو رطب[١١] ، وهى كما نُرى نفس الظروف السائدة فى منطقة ظفار فى الوقت الحاضر .

وإذا انتقلنا لوصف منطقة نمو أشجار الكندر فى شمال الصومال نجد أن الظروف الطبيعية التى تسودها تشبه إلى حد كبير ــ إن لم تكن تطابق ــ الظروف الطبيعية فى منطقة ظفار ، فتنمو أشجار الكندر

فوق المرتفعات والجبال الموازية للساحل الشمالى الشرقى للصومال وخاصة فى المنطقة الممتدة من رأس جردفوى شرقا إلى ميناء بندر قاسم ثم ميناء ميد غربا . وبعد هذه المنطقة تقل أشجار الكندر وتكثر أشجار المر (وهو نوع آخر من البخور أقل جودة) حتى تغلب أشجار المر فى أقصى الغرب بالقرب من زيلع وبربرة . ويوجد نوعان رئيسيان من الكندر فى شمال شرق الصومال ، النوع الجيد الذى ينمو فوق المرتفعات القريبة من الساحل ويعرف لدى الصوماليين باسم « ميدى » وهو المعروف علميا باسم B. Frereana كما سبق أن ذكرنا ، ثم النوع الذى ينمو فى الداخل ويعرف باسم « محر » وهو المعروف علميا باسم B. Carteri وهو أقل جودة .

وطريقة جمع محصول الكندر فى الصومال هى نفس الطريقة المتبعة فى ظفار تقريبا ، فيبدأ شق الشجرة فى شهر فبراير وتستمر عملية الشق طوال شهرى مارس وأبريل(١٢) ويتم جمع المحصول طوال هذه المدة .

ويلاحظ أن اسماء عملية استخراج الكندر من الأشجار وأسماء الأدوات المستخدمة فى ذلك عربية الأصل مما يدل على الارتباط بين سكان منطقتى نمو الكندر فى شمال الصومال وفى جنوب الجزيرة العربية ، فمثلا يسمى الصوماليون عملية شق الأشجار « زرع » ويسمون الاناء الذى يجمعون فيه العصارة المتجمدة « زنبيل » بل أن أداة شق الأشجار (وهى تشبه السكين) لها اسم واحد فى كل من الصومال(١٣) وظفار هو « منجف » وهى كلمة حضرمية الأصل .(١٤)

والأنواع الجيدة من الكندر فى كل من الصومال وظفار هى التى تنمو بين شقوق الصخور ، ويتميز النوعان B. Frereana و B. Carteri بوجود انتفاخ اسفل جذع الشجرة عند اتصاله بالأرض (شكل ٦،٥) ويفسر الباحثون الغرض منه بأنه لتثبيت الشجرة فوق الأرض نظرا لنمو الشجرة بين الصخور(١٥) ولطولها الفارع ، إذ يتراوح ارتفاع الشجرة الأولى بين ٤.٥ ــ ٧.٥ مترا ، تليها الشجرة الثانية فهى أقصر قليلا أما شجرة B. Sacra فلا يوجد بها هذا الانتفاخ نظرا لقصرها إذ يبلغ ارتفاعها فى المتوسط من ٢.٥ ــ ٣ متر (شكل ١ ، ٢) .

قلنا فيما سبق أن مناطق انتاج الكندر قديما هى نفس مناطق انتاجه حاليا ، وسوف يثبت لنا ذلك من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين (كتاب اليونان والرومان) لهذه المناطق ، ولكن قبل أن نسترسل فى عرض هذه الأوصاف يحسن أن نعرف بهؤلاء الكتاب وبمؤلفاتهم .

أول هؤلاء الكتاب هو الجغرافى الرومانى « استرابون » (أو « استرابو ») الذى عاش ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده ، وقد ألف كتابا فى الجغرافيا خصص الجزء السادس عشر منه لوصف المناطق الواقعة على جانبى البحر الأحمر ، وقد اصطلح الباحثون على اختصار اسم كتابه فى العنوان التالى Strabo, Geography, Book XVI .

وثانى هؤلاء الكتاب مؤلف مجهول هو فى الغالب بحار يونانى عاش فى مصر فى القرن الأول الميلادى١٥/١ وألف كتابا فى وصف سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندى وما بها من موانىء . أطلق عليه اسم Periplus Maris Erythraei وهى عبارة يونانية معناها « الطواف حول البحر الاريترى » (أى

البحر الأحمر والمحيط الهندى) ، وغالبا ما يختصر الباحثون اسم هذا الكتاب إلى **Periplus** فقط مسبوقة باسم الباحث الذى ترجم نص الكتاب .

وثالث هؤلاء الكتاب هو العالم الطبيعى الرومانى « بلينى » الذى عاش فى القرن الأول الميلادى أيضا ، وألف كتابا ضخما فى عدة أجزاء وصف فيه النباتات والحيوانات والسلع التى كانت سائدة فى زمنه ، وتناول فى مواضع متفرقة من هذا الكتاب ، وصف نباتات مناطق البحر الأحمر ومن بينها الكندر وغيره من مواد البخور . وقد اصطلح الباحثون على اختصار اسم كتابه إلى **Pliny, Natural History, Book..**

ويمكن أن نضم لهؤلاء ، العالم المشهور بطليموس الجغرافى الذى عاش فى مصر فى القرن الثانى الميلادى ، ولو أن مؤلفاته لا تحوى أوصافا تفصيلية لمناطق البحر الأحمر مثل الكتاب المذكورين ، ولكن خريطته التى رسمها لمناطق البحر الأحمر وخاصة للجزيرة العربية تعتبر ذات أهمية فريدة ، وقد اصطلح الباحثون على اختصار اسم كتابه الى **Ptolemaios (Ptolomy), Geography**

إن المتتبع لكتابات هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين عن الكندر ، يلاحظ أنهم ميزوا بين كندر الصومال ، وبين كندر الجزيرة العربية بأن اطلقوا على الأول اسم « كندر الشاطىء البعيد » **Paratikos** ١٥/٢ بينما أطلقوا على كندر ظفار اسم « الكندر السخاليتى »(١٦) نسبة إلى الاسم الذى أطلقه هؤلاء الكتاب على خليج القمر فى جنوب ظفار ، وهو **Sachalites Sinus** وهذا الاسم يرجع فى أصله إلى اسم عربى جنوبى قديم كان يطلق فى نقوش المسند على منطقة ظفار وهو « سأكل » أو « سأكلن »(١٧) ، ويلاحظ أن بقايا هذا الاسم ظلت حتى اليوم فى اسم منطقة « الشحر » (حرف السين فى اللغات القديمة يتحول على السنة الناس بمرور الزمن الى حرف الشين ، وكذلك حرف اللام يتحول إلى حرف الراء ، ويحدث العكس أيضا) وإن كانت منطقة الشحر تقع إلى الغرب من خليج القمر .

ولاشك أيضا أن تسمية « كندر الشاطىء البعيد » هى الأخرى تسمية عربية جنوبية قديمة ، وان كان الكتاب الكلاسيكيون لم يذكروا الكلمة نفسها وإنما ذكروا ترجمتها (فى كلمة **Paratikos** التى ذكرناها) ومن الواضح أن هذه التسمية من وجهة نظر سكان الجزيرة العربية الذين كانوا يميزون بها بين كندر الصومال وبين كندر بلادهم ، وكان جزء كبير من انتاج الصومال من الكندر يجلب إلى موانىء الجزيرة العربية وخاصة ميناء « مخا » (واسمه « موزا » فى كتابات الكلاسيكيين) حيث يعاد تصديره إلى البلاد الواقعة فى شمال البحر الأحمر (فى العصر اليونانى الرومانى) وخاصة مصر .

ويلاحظ أن هذه الظاهرة ، أى ظاهرة تسويق إنتاج الصومال من الكندر عن طريق موانىء الجزيرة العربية ، ظلت باقية إلى عهد قريب ، فقد كان أغلب محصول شمال الصومال من الكندر يرسل الى ميناء عدن لتصديره إلى كافة أسواق العالم حتى الخمسينات من القرن الحالى .(١٨)

وقد أطلق الكتاب الكلاسيكيون اسماً أكثر تحديدا على منطقة نمو أشجار الكندر فى ظفار هو **Libanotophoros** ومعناه « المنطقة المنتجة للكندر (اللبان) » وورد هذا الاسم فى كتاب البريلوس(١٩) .

ومن الواضح أن كلمة « لبان » وهو الاسم العربى الجنوبى القديم للكندر كما سبق أن قلنا ، يدخل فى تركيب هذا الاسم اليونانى ، وقد وردت هذه الكلمة (وبالتحديد كلمة « لبنى » التى يمكن أن تنطق « لبناى » أو « لبانى » أو « لباناى » لأن اللغة العربية الجنوبية القديمة لا توجد بها حروف متحركة شأن اللغة العربية الحالية ، ولكن على أى حال فان الكلمة القديمة تحوى الحروف الساكنة الثلاثة أى اللام والباء والنون التى تدخل فى تركيب كلمة « لبان ») ــ وردت كلمة « لبنى » هذه على محارق البخور اليمنية القديمة ومنها محرق بخور يرجع إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ويوجد حاليا فى متحف صنعاء[٢٠] ولكن لاشك أن استخدام الكلمة فى نقوش المسند يرجع إلى ما قبل ذلك بكثير ، لأنها ظهرت فى السجلات اليونانية القديمة ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد .[٢١]

كما وردت أيضا كلمة « بخور » التى نستخدمها فى لغتنا اليوم ــ وردت فى نقوش المسند بنفس معناها الحالى ، ولكن لا يعرف نطقها بالضبط ، مثلها مثل كلمة « لبان » التى ذكرناها ، ولكنها مثل كلمة « لبان » ، تشتمل على الحروف الساكنة الثلاثة وهى « بخر » كما وردت أيضا بصيغة « أبخر »[٢٢] .

وقد وصف الكتاب الكلاسيكيون أيضا الموانىء التى كان الكندر يصدر منها فى جنوب ظفار وحضرموت ، ومن هذا الوصف يتضح أنه كانت توجد ثلاثة موانىء رئيسية لتصديره هى من الشرق إلى الغرب : ميناء كان الكتاب الكلاسيكيون يسمونه « موسكا **Moscha** » ومكانه الآن « خوررورى » ، وهو موقع كان يسمى فى نقوش المسند « سمهرم » (أو « سمرم ») ، ثم ميناء « سياجروس » **Syagrus** ومكانه الحالى « رأس فرتك » ، وأخيرا ميناء « كانا **Cana** » وهو محور عن الاسم العربى القديم « قنأ » ومكانه الآن الموقع المسمى « بئر على »[٢٣] .

وقد انبأنا الكتاب الكلاسيكيون أن محصول الكندر كان ينقل بالقوافل من مناطق نمو أشجاره فى الداخل إلى ساحل البحر ويتم تجميعه فى مينائى « موسكا » و « سياجروس » ، ومن هذين الميناءين كان الكندر ينقل بالبحر نحو الغرب إلى ميناء « قنأ » ، إما فى قوارب أو فوق أطواف خشبية تحملها قرب منفوخة[٢٤] ، وكان هذا النقل يتم خلال فصل الشتاء ، ومن الواضح أن سبب هذا التوقيت هو الاستفادة من الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التى تدفع هذه القوارب والأطواف من الشرق إلى الغرب ، ومازال هذا التوقيت متبعا حتى اليوم .[٢٥]

وبعد وصول الكندر إلى ميناء قنأ ، كان نقله يستمر إما بحرا ، أو برا بالقوافل إلى « شبوة » العاصمة القديمة لدولة حضر موت ، (ويلاحظ أن كلا الاسمين قديمان وأنهما مازالا باقيين حتى اليوم) ثم إلى « تمنع » (هجر كحلان الحالية فى وادى بيحان) عاصمة دولة قتبان القديمة ، ومنها إلى سائر عواصم الدول العربية القديمة مثل مأرب عاصمة دولة سبأ ، ومعين عاصمة دولة معين القديمة ، التى تقع فى وادى الجوف فى شمال اليمن ، ومازال اسمها القديم باقيا أيضا الى اليوم .

من هذا نرى أن تجارة الكندر كانت تمر بعواصم الدول العربية القديمة ، والحقيقة أن كل دولة من هذه الدول كانت تحرص أشد الحرص على مرور هذه التجارة الثمينة فى أراضيها ، كما كان من

مصلحتها تأمينها وضمان استمرارها ، ذلك اننا نلاحظ أنه رغم ما كان ينشب بين هذه الدول من حروب ، فان تجارة الكندر لم تكن تتوقف فى أغلب الأحيان ، فقد كانت هذه الدول على ما يبدو تدرك مدى ما يحيق بها من خسارة سوف تعم عليها كلها إذا ما توقفت تجارة الكندر .

ولاشك أن الدولة التى كان يقع عليها العبء الأكبر فى تأمين تجارة الكندر ، هى دولة حضرموت ، لوقوع منطقة نمو أشجار الكندر الرئيسية (منطقة ظفار) فى أراضيها ، وكذلك الميناء . الرئيسى لتصديره (ميناء خورروری) فشيد ملوكها القلاع والحصون فى هذه المناطق لهذا الغرض ، ودليل ذلك العثور على اسم أحد هؤلاء الملوك هو المسمى فى نقوش المسند « ايل ــ عز » محفورا على أطلال قلعة قديمة فى ميناء خورروری[٢٦] ، وقد عاش هذا الملك فى القرن الأول الميلادى وكان معروفا لدى الكتاب الكلاسيكيين باسم « اليازوس » Eleazos وقد وصفوه بأنه كان « ملك بلاد البخور »[٢٧] كما عثر فى منطقة « هانون » (التى كانت تسمى « سأنن » فى نقوش المسند) على أطلال مبانى رجح الباحثون أنها كانت مخازن لشدة التشابه بينها وبين المخازن القديمة التى وجدت فى ميناء خورروری[٢٨] . وتقع هانون على بعد ستين كيلومترا إلى الشمال من خورروری فهى بذلك فى منطقة تجميع محصول الكندر لتخزينه ، ويبدو أن هذا هو الغرض من المخازن التى وجدت فيها . وقد وجد فى هانون نقش مكتوب بالمسند يذكر الاسم « سأنن » الذى أشرنا إليه ، ويصف النص سأنن هذه بأنها « فى أرض سأكلن » أى فى بلاد ظفار كما سبق أن ذكرنا ، كما يشير النص إلى « مكرب حضرموت »[٢٩] (ومكرب لقب الملك الذى كان يمارس الوظيفة الدينية إلى جانب الوظيفة الدنيوية) ، وهذه الاشارة مثال آخر على امتداد سلطة ملوك حضر موت القدماء على مناطق تجميع الكندر والطرق المؤدية إليها .

وهناك دليل آخر على جهود ملوك حضرموت فى تأمين تجارة الكندر والسيطرة على مناطق انتاجه نفسها ، أى على المناطق التى تنمو فيها أشجاره ، هو العثور فى واحة « أنظور » الحالية الواقعة على بعد ٩١ كيلومترا إلى الشمال الشرقى من ميناء خورروری (الخريطة شكل ١١) ، على أطلال قلعة ومعبد يشبهان فى طريقة بنائهما مبانى ميناء خورروری ، ويمتد هذا التشابه إلى نوع الملاط المستخدم فى كل منهما مما يدل على أنهما من عصر واحد .[٣٠]

من هذه الأمثلة الثلاثة يمكننا أن نستخلص مدى حرص ملوك حضر موت القدماء على تأمين تجارة الكندر والسيطرة عليها بما أقاموا من قلاع ومخازن فى كل من مناطق انتاجه (واحة أنظور) وتجميعه (هانون) وتصديره (ميناء خورروری) .

وإذا ما انتقلنا من الساحل الآسيوى الى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن لدراسة مناطق انتاج الكندر الصومالى ، فأننا نجد نفس الظاهرة التى رأيناها بالنسبة لكندر ظفار ، أى أن مناطق انتاج الكندر الصومالى فى الوقت الحاضر (أو مناطق نمو أشجاره) هى نفس مناطق إنتاجه فى العصور القديمة ، ويتبين ذلك أيضا من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين لهذه المناطق ، فقد أنبأنا كل من استرابون ومؤلف كتاب البربلوس وبلينى ، بما يفيد أن المنطقة الرئيسية لانتاج الكندر كانت تمتد من رأس جردفوى نحو الغرب بمحاذاة ساحل الصومال الشمالى ، ويعتبر وصف مؤلف البربلوس لهذه

المنطقة ، أدق هذه الأوصاف وأكثرها تفصيلا ، ويتبين من هذا الوصف أن الساحل الشمالى الشرقى للصومال ومناطق الظهير الممتدة خلفه كانت فى عصره (القرن الأول الميلادى) تنتج أنواعا جيدة من الكندر وخاصة المنطقة التى يوضح معالمها بعدة مواقع تبدأ من الغرب إلى الشرق بالميناء الذى يسميه مؤلف البربلوس « موسيلوم **Mosyllum** » ثم بالنهر الذى يسميه « نيليبوتاميا » **Nilipotamia** ومعناه « نهر النيل الصغير » (هناك قراءة أخرى لهذا الاسم هى « نيليبتوليمايو »[٣١] وهى لا تغير من المعنى كثيرا لأن فيها اسم « النيل ») ، ثم بالموقع الذى يسميه « تاباتيجى » **Tapatege** ومعناه نهير أو جدول تابا[٣٢] ، ثم موقع آخر يسميه « دفنون ميكرون » **Daphnon Mikron** ومعناه « دغل أشجار الغار الصغير »[٣٣] ، ثم رأس يسميها « رأس الفيل » **C. Elephas** ، ثم نهر صغير يسميه « نهر الفيل » **El ephas Fiume** ثم موقع هام يسميه « اكاناى » **Acannae** يخصه بالقول بأنه يقع فى المنطقة التى تنتج أكبر كمية من أجود أنواع الكندر . وأخيرا يذكر مؤلف البربلوس (بين اسماء المواقع على الساحل الشمالى الشرقى للصومال) اسم سوق يسميه « سوق العطور » **Aromaton Emporion** [٣٤] .

وإذا طبقنا هذه الاسماء على الخريطة الحالية لشمال الصومال (شكل ١٢) ، فاننا نجد (طبقا لدراسات الباحثين)[٣٥] إن ميناء موسيلوم كان يوجد فى الغالب فى المنطقة الممتدة من ميناء بندر قاسم الحالى (الذى يسميه الصوماليون أيضا « بوصاصو ») ، إلى رأس عمترة الواقعة إلى الشرق منه بقليل . ويلاحظ أن منطقة الظهير الواقعة وراء هذه المواقع تنمو بها أشجار الكندر على سفوح الجبال التى يصل ارتفاعها إلى حوالى ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر[٣٦] ، والموقع الذى يسميه مؤلف البربلوس « نهر النيل الصغير » مكانه اليوم فى الغالب جدول صغير يسميه الصوماليون « بندر خور » ويقع بالقرب من مصبه ميناء « كندلة » الحالى والذى مازال حتى اليوم من مراكز تصدير الكندر . أما المواقع المسماة « نهر تابا » و « دغل أشجار الغار الصغير » فتوجد فى الغالب فى المنطقة الواقعة بين « بندر مرعانيو » و « دربا » إذ تكثر بهذه المنطقة أشجار الكندر فوق الجبال[٣٧] ، ومازالت مرعانيو تصدر الكندر حتى اليوم .[٣٨] والموقع الذى يسميه البربلوس « رأس الفيل » مكانه الآن رأس بارزه فى البحر يسميها الصوماليون اليوم « رأس فيلك » ويلاحظ أن هذه التسمية تحمل فى طياتها كلمة « الفيل » (حرف الكاف فى آخر الكلمات هو أداة التعريف فى اللغة الصومالية)[٣٩] أى أن التسمية مازالت مستمرة منذ العصور القديمة حتى اليوم ، ولعل السبب فى ذلك هو التشابه بين هذه الرأس وبين شكل الفيل الرابض إذا نظر اليها من بعيد .[٤٠]

أما موقع « نهر الفيل » فمكانه اليوم فى الغالب نهير صغير يصب فى خليج يسميه الصوماليون « جل – وين » ومعنى هذه الكلمة « المستنقع الكبير » ويقع عند مدخل هذا الخليج ميناء يسميه الصوماليون « علولة » وهو من أهم موانى هذه المنطقة فى تصدير الكندر[٤١] ولذلك يرجح الباحثون أنها « اكاناى » التى يقول البربلوس عنها أنها فى المنطقة التى تنتج أكبر كمية من الكندر من أجود الأنواع كما سبق القول[٤٢] .

وأخيرا فان « سوق العطور » المذكور فى البربلوس مكانه اليوم فى الغالب ، طبقاً لأحدث الحفائر الأثرية التى أجريت فى شمال الصومال ، المرفأ المسمى حالياً « دامو » الواقع على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً غرب رأس جردفوى[٤٣] . ولاشك أن العطور المقصودة فى هذه التسمية هى « الكندر » فقد كان اليونان والرومان يطلقون عليه أيضاً هذه التسمية .

هكذا تتطابق المناطق المنتجة للكندر وموانى تصديره فى الوقت الحاضر ، وفى العصر اليونانى الرومانى سواء بالنسبة لشمال شرق الصومال أو لجنوب الجزيرة العربية (منطقة ظفار) ولكن ما ذكرناه من مناطق إنتاج الكندر لايعنى أن الكندر لاينمو فى المناطق الأخرى فى جنوب الجزيرة العربية وفى شمال الصومال ، ولكن يعنى أن المناطق التى ذكرناها هى أكثر المناطق كثافة فى أشجار الكندر وتنمو بها أجود أنواعه التى كان القدماء يفضلونها على الأنواع الأخرى ، فضلا عن أن المناطق الأخرى التى كان ينمو بها الكندر وخاصة فى شمال الصومال ، لاتتوفر لها المزايا التى تجعلها تلعب دورا رئيسياً فى تجارة الكندر ، مثل القرب من ساحل البحر ، فمثلا توجد مناطق على ساحل الصومال الشمالى ينمو بها الكندر ولكن على سفوح الجبال التى تبعد عن الساحل بمسافة كبيرة مثل المنطقة الواقعة وراء بربرة[٤٤] مما يقلل من مساهمتها فى تجارة الكندر بالنسبة للمناطق القريبة من ساحل البحر التى ذكرناها .

تجارة البخور فى تاريخ الصلات بين شعوب البحر الأحمر

لقد كانت سلعة البخور الثمينة تشكل عنصر جذب للشعوب والجماعات المطلة على البحر الأحمر ، ثم للشعوب الأخرى من خارج هذا البحر كالفينيقيين والعبرانيين (ولو أن هناك آراء بأن العناصر المبكرة من الشعب الفينيقى ترجع فى أصلها إلى منطقة البحر الأحمر ، كما أن العهد القديم يروى أن دولة العبرانيين فى عهد سليمان وخلفائه المباشرين كانت تمتد إلى خليج العقبة) ، ثم اليونان والرومان فيما بعد . ولاشك أن أشد هذه الشعوب حماساً للحصول على هذه السلعة هى أكثرهم احتياجاً إليها واستهلاكاً لها . وهنا يظهر المصريون القدماء فى مقدمة هذه الشعوب كما تدل على ذلك آثارهم ، فان أقدم إشارة مدونة لبخور البحر الأحمر ، وردت على الآثار المصرية القديمة وترجع لحوالى عام ٢٦٥٠ قبل الميلاد ، وهى من عصر ملك يدعى « سحورع » جاء فيها أن هذا الملك حصل على ٨٠,٠٠٠ مكيال من بخور البحر الأحمر[٤٥] وكان المصريون القدماء يميزون ذلك النوع من البخور الذى كانوا يجلبونه بطريق البحر الأحمر باطلاق أسم خاص عليه هو « عنتى » (أو « عنتيو » فى صيغة الجمع فى اللغة المصرية القديمة) كما كانوا يطلقون على البلاد التى يحصلون منها على هذا البخور اسم « بونت » .
والدليل على أن بلاد بونت هذه كانت تقع على ساحل البحر الأحمر وأن المصريين كانوا يصلون إليها بطريق البحر ، هو العثور على آثار فرعونية ونقوش وكتابات هيروغليفية على الساحل المصرى للبحر الأحمر تسجل أخبار بعثة بحرية أرسلها أحد الفراعنة حوالى عام ١٩٥٠ قبل الميلاد إلى بلاد بونت

هذه .(٤٦) وقد تضمنت هذه النقوش ، المرسوم الملكى الذى أصدره الفرعون لوزيره لاعداد السفن اللازمة لسفر هذه البعثة .(٤٧) ولكن رغم تعدد بعثات المصريين القدماء إلى بلاد بونت هذه لجلب البخور ، فانهم لم يصلوا إلى منطقة نمو أشجار الكندر نفسها فى شمال الصومال الأبعد حوالى ألف سنة من عصر أول بعثة أرسلوها لجلب البخور فى عصر الملك « سحورع » المذكور . فقد كانوا منذ ذلك العصر يحصلون على البخور عن طريق الوسطاء والسماسرة مما كان يؤدى لرفع ثمن السلعة كثيراً كما ذكروا فى نقوشهم .(٤٨) وكان وصولهم إلى منطقة أشجار الكندر فى شمال الصومال حدثاً جديداً تم فى عصر ملكة تدعى « حتشبسوت » حوالى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ، والناحية الأخرى الجديدة فى هذا الحدث ، إنهم لم يكتفوا بالحصول على الكندر على هيئة حبات معبأة فى أكياس (كما كانوا يفعلون قبل ذلك العصر على مايبدو) ، بل حصلوا على عدد من أشجار الكندر الحية باقتلاعها من الأرض ، وحفظ جذورها فى أصص لاستزراعها فى مصر (شكل ٧) ، وفعلا زرعوا هذه الأشجار فى حديقة المعبد الذى شيدته هذه الملكة فى منطقة « الدير البحرى » الواقعة غرب مدينة الأقصر فى صعيد مصر ، ولكن تبين للباحثين من فحص أرضية هذه الحديقة ، أن زراعة الكندر لم تنجح فى مصر ، ويبدو أن السبب فى ذلك هو اختلاف طبيعة البيئة فى مصر عن البيئة الصالحة لنمو هذا النبات ، وإن كان أحد الباحثين يذهب بعيداً فى تفسير عدم نجاح زراعة الكندر فى مصر بقوله إن سكان بلاد البخور أو بونت (شمال شرق الصومال) أعطوا للمصريين أشجاراً لاتصلح للنمو والاستزراع ، حتى لاتبور تجارتهم بحرمانهم من السوق الرئيسى لتصريفها ، وهو السوق المصرى .(٤٩)

غير أنه يبدو أن المصريين لم ييأسوا من فشل زراعة أشجار الكندر فى مصر ، ذلك أن كثيراً من الفراعنة الذين حكموا مصر بعد عصر الملكة حتشبسوت هذه ، ساروا على منوالها فى جلب أشجار الكندر الحية من بلاد بونت لاستزراعها فى مصر ، حتى صار جلب هذه الأشجار تقليداً متبعاً نشاهده فى كثير من المناظر المرسومة على الآثار المصرية القديمة ، وهذا دليل على أن البيئة لم تكن تلائم نمو الكندر وإنما أصبح الأمر مجرد تقليد متبع لاغير . كما يدل من ناحية أخرى على ازدهار تجارة كندر الصومال .

وقد يتساءل القارىء عن سبب اتجاه المصريين إلى منطقة شمال الصومال للحصول على الكندر ، وعدم اتجاههم إلى جنوب الجزيرة العربية لهذا الغرض ، وماهى الأدلة على ذلك . أما عن الشق الأول من السؤال فهو أن منطقة شمال شرق الصومال الواقعة على الساحل الأفريقى لخليج عدن ، كانت أيسر منالا وأكثر أمناً للسفن المصرية من السواحل الآسيوية لهذا الخليج وخاصة منطقة ظفار البعيدة (الواقعة على البحر العربى على امتداد خليج عدن) ، لأن السفن المصرية فى ذلك العهد المبكر من تاريخ الانسانية ، لم تكن بالمتانة ، وبدرجة القوة الكافية لمغالبة زوابع البحر الأحمر وعواصفه المدمرة فى عرض هذا البحر ، فكانت السفن تلتزم الساحل فى إبحارها أى أنها كانت تبحر بطريقة « المساحلة » حتى إذا دهمتها العواصف أسرعت بالالتجاء للساحل ، وبذلك كان التزامها للساحل الافريقى يوفر لها الأمان وخاصة أن الكندر المطلوب ، وغيره من سلع البحر الأحمر كالذهب والعاج والابنوس وريش النعام وغير ذلك من سلع الترف التى كانت السفن المصرية تسعى للحصول عليها إلى جانب الكندر ،

كانت تتوفر على الساحل الافريقى للبحر الأحمر وخليج عدن ، وعلى ذلك لم يكن المصريون فى حاجة للمجازفة بعبور البحر الأحمر إلى ساحله الأسيوى والتعرض لأخطار هذا العبور .

أما عن الأدلة على أن بلاد بونت هذه كانت تقع على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، وليس على ساحل الجزيرة العربية ، فهناك أدلة كثيرة على ذلك وقد تناولتها فى بحث سابق(٥٠) ولكننى أكتفى هنا بدليلين اثنين حاسمين أولهما ، وورود رسم لحيوان الزراف وهو يرعى فى بيئته الطبيعية ضمن الرسوم المصرية التى تمثل البيئة الطبيعية لبونت(٥١) ، والمعروف أن الزراف حيوان أفريقى بحت ولم يظهر فى آسيا سواء فى العصور القديمة أو الحديثة . وثانى هذه الأدلة يتمثل فى نص هيروغليفى ورد على لوحة تعرف فى علم الآثار المصرية « بلوحة دفنى » جاء فيه أن الأمطار الساقطة على جبال بونت أدت إلى حدوث فيضان النيل(٥٢) ، وبديهى أن هذا الفيضان لايمكن أن يحدث إلا إذا كانت بلاد بونت التى سقطت عليها الأمطار ، تقع فى منطقة أفريقية لايفصلها عن النيل فاصل بحرى كما هو الحال بالنسبة للمناطق الآسيوية .

وقد أطلقت النصوص المصرية الهيروغليفية على بلاد بونت هذه إسما يتفق مع الطبيعة الجبلية التى تسود فى شمال شرق الصومال حيث تنمو أشجار الكندر وهو « ختيو عنتيو نو بونت » (انظر الخريطة شكل ١٢) ومعناه « مدرجات الكندر فى بونت » ، كما مثلت الرسوم المصرية سكان هذه المنطقة الذين كانوا يتاجرون فى البخور وفى السلع الافريقية الأخرى كسلع الترف التى ذكرناها ، ومن هذه الرسوم أمكننا التعرف على الأجناس والسلالات التى كانت تعيش فى هذه المنطقة الافريقية منذ خمسة وثلاثين قرناً ، فالسلالة الحاكمة التى يمثلها أمير هذه البلاد وأعوانه ، تبدو على أفرادها الملامح الحامية السامية ، وهناك سلالة أخرى يتميز أفرادها بملامح زنجية(٥٣) والناحية التى تلفت الانتباه فى هذه الرسوم أن زوجة أمير هذه البلاد وابنتها ، تتميزان بخصائص جسدية تجمع بين الخصائص الحامية السامية وبين الخصائص الزنجية (شكل ٨) ، مما يرجح وجود اختلاط بين السكان الافريقيين المحليين وبين مهاجرين من الجزيرة العربية . وهذه الظاهرة ، أى ظاهرة الاختلاط بين المهاجرين من الجزيرة العربية وبين السكان المحليين على السواحل الافريقية ، من أبرز الظواهر التى ميزت الصلات بين سكان السواحل الافريقية وسكان السواحل الآسيوية للبحر الأحمر والمحيط الهندى طوال عصور التاريخ حتى مطلع العصر الحديث ، ولكنها اتخذت أشكالا اختلفت باختلاف العصور .

والحقيقة أن الصلات البشرية بين السواحل الافريقية والسواحل الآسيوية للبحر الأحمر ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ عندما بدأت الهجرات الحامية منذ العصر الحجرى القديم الأعلى تتوالى من جنوب الجزيرة العربية عبر باب المندب إلى إفريقية الشرقية ، وقد تتابعت هجرات الحاميين فى ثلاث موجات رئيسية يطلق عليها الباحثون أ ، ب ، جـ . وقد عمرت هذه الهجرات منطقة شرق إفريقية كلها ومازالت بقاياها حتى اليوم تتمثل فى مجموعات بشرية متناثرة فى شرق إفريقية مثل البجة والجالا(٥٤) . وفى العصور التاريخية أخذت العناصر السامية تتوافد على ساحل إفريقيا الشرقى قادمة من جنوب الجزيرة العربية ، واستقر هؤلاء الساميون (وهم أسلاف العرب القدماء) على هذا الساحل مؤسسين

مستوطنات تجارية يتصلون عن طريقها بالسكان الافريقيين المحليين الذين كانوا يجلبون لهم المنتجات الافريقية مثل الذهب والعاج والابنوس وجلود الفهود وريش النعام وغيرها من سلع الترف من المناطق الداخلية التى كان يصعب عليهم دخولها بسبب ما كانت تعج به من الحيوانات المفترسة والقبائل البدائية والأمراض الوبائية ، وذلك بالطبع إلى جانب البخور أهم السلع الافريقية الذى كان يتوفر أيضاً قرب الساحل كما ذكرنا . وقد أوضحت لنا الرسوم المصرية القديمة بعض هذه السلع ، وصورت سكان إحدى هذه المستوطنات وهم يقدمونها للمقايضة مع السلع التى جاء بها المصريون التى ظهرت بينها الأسلحة والأوانى وأدوات الزينة(٥٥) . ويبدو أنه بمرور الزمن كانت العلاقة التجارية بين المهاجرين الساميين (اسلاف العرب القدماء كما ذكرنا) وبين السكان الافريقيين المحليين تؤدى إلى التقارب بين الطرفين ، وكان الوافدون الساميون يعززون هذه العلاقة بزواجهم من النساء الافريقيات ، كما يدل على ذلك المثال الذى ذكرناه من الرسوم المصرية القديمة .

وقد استمرت هذه الظاهرة فى العصور اللاحقة ولدينا مثال على ذلك من كتابات الكتاب الكلاسيكيين فقد جاء فى كتاب البربلوس أن أهل مدينة « موزا » (ميناء مخا الحالى تقريباً باليمن) كانوا يحكمون أحد الموانى على ساحل إفريقيا الشرقى الذى أسماه « رهابتا » ، وذلك من قبل أمير « مفاريتس » **Mapharitis** (دولة أو إمارة يمنية قديمة ربما كانت فى منطقة « المعافر » الحالية فى جنوب غرب اليمن) وكانوا يبعثون إلى الميناء ربابنة ووكلاء عرب يعرفون المكان ويتزوجون من نسائه ويفهمون لغة السكان(٥٦) .

ويبدو من الرسوم المصرية القديمة التى ذكرناها فيما سبق ، أن المستوطنين الساميين كانوا يحرصون على السيطرة على مناطق إنتاج البخور على الساحل الصومالى حتى لايكون موضع منافسة للبخور الذى تنتجه الجزيرة العربية ، وهناك دليل على ذلك وإن كان من العصور التالية ، وبالتحديد من القرن الأول الميلادى فقد ورد فى كتاب البربلوس مايفهم منه أن بخور الصومال (الذى كان العرب القدماء يسمونه « بخور الشاطىء البعيد » كما سبق أن ذكرنا) كان يشحن مع السلع الافريقية الأخرى فى السفن إلى جنوب الجزيرة العربية(٥٧) ومن الواضح أن الغرض من ذلك هو إعادة تصدير هذه السلع من موانى اليمن وبذلك تحكم قبضة العرب على السلع الافريقية وخاصة البخور فلايكون وسيلة لمنافسة البخور العربى .

ومن الطريف أن حرص الساميين ثم العرب القدماء من بعدهم على تجارة البخور ، لم يقتصر على محاولتهم إحكام قبضتهم على مناطق إنتاجه على الساحل الافريقى ، بل امتد ، فيما يبدو ، إلى نشر الروايات المخيفة عن مناطق إنتاجه ، لصرف المغامرين الأجانب عن محاولة ارتياد هذه المناطق ، وإن تشابه هذه الروايات يدل على أنها من مصدر مشترك ، فكلها تدور حول وجود ثعابين وحيات أسطورية فى مناطق إنتاج البخور ، وأقدم هذه الروايات وردت فى قصة مصرية قديمة ترجع إلى حوالى القرن العشرين قبل الميلاد ، تعرف بأسم « قصة الملاح الغريق » وهى تشبه قصة السندباد البحرى العربية

إلى حد كبير ، وقد ورد فى هذه القصة أن هذا الملاح لجأ (بعد أن دمرت العواصف سفينته) إلى جزيرة كان يسكنها ملك بلاد البخور (المسماة بلاد بونت عند المصريين القدماء) ، وأن هذا الملك كان على هيئة ثعبان ضخم طوله ثلاثون ذراعاً(٥٨) ، ثم رواية أخرى رددها استرابون فى القرن الأول قبل الميلاد ، بأنه توجد على ساحل الصومال الشمالى حيات يبلغ طول الواحدة ثلاثين ذراعاً أيضاً(٥٩) والذى يجعلنا نرجح أن هاتين الروايتين من أصل سامى أو عربى قديم ، وجود رواية مشابهة لهما عن مناطق إنتاج البخور فى جنوب الجزيرة العربية نفسها ، وقد رددها المؤرخ اليونانى هيرودوت (حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد) إذ قال أن أشجار البخور فى بلاد العرب تحرسها حيات مجنحة(٦٠) .

ومن الأحداث البارزة فى تاريخ الهجرات السامية والعربية القديمة إلى السواحل الافريقية ، هجرة السبئيين حوالى القرن السابع أو السادس قبل الميلا، واستقرارهم فى مستوطنات تجارية على ساحل اريتريا تحولت فيما بعد إلى دولة امتدت نحو الداخل وغلب عليها الطابع الافريقى واتخذت من مدينة « اكسوم » فى شرق الحبشة عاصمة لها . والناحية التى تهمنا فى تاريخ دولة اكسوم هذه ، إنها أخذت تدخل فى مضمار المنافسة على تجارة البحر الأحمر وخاصة تجارة البخور ، فنشأ بذلك طريق برى لهذه التجارة يمتد من الصومال إلى أكسوم ثم إلى الميناء المسمى قديماً « أدوليس **Adolis** » (ومكانه اليوم مرفأ « زولا » الصغير الواقع جنوب ميناء مصوع الحالى بعدة كيلو مترات) حيث تنقله السفن إلى الشمال نحو الموانى المصرية ويبدو أنه لأهمية ميناء أدوليس هذا وصلته بتجارة بخور الصومال فقد عين له ملوك أكسوم حاكماً خاصاً كانت سلطته تمتد حتى ساحل الصومال الشمالى(٦١) ، وقد حفظ لنا كتاب البريلوس اسم أحد هؤلاء الحكام الذى دعاه « زوسكالس **Zoskales** »(٦٢)

وحول الزمن الذى ازدهرت فيه دولة أكسوم ، ازدهرت أيضاً دولة « كوش » السودانية فى « مروة » (بالقرب من شندى شمال الخرطوم) فازدهرت التجارة بين الدولتين ونشط الطريق التجارى الذى يمتد من اكسوم إلى كسلا إلى مروة ومنها إلى الشمال نحو مصر ، وبذلك نشأ طريق برى نهرى لتجارة البخور يمتد من شمال الصومال عبر الحبشة والسودان ومصر إلى ساحل البحر المتوسط حيث ينتهى عند مدينة الاسكندرية التى كان يصلها أيضاً بخور الجزيرة العربية . وكان البخور يتم تصنيعه فى هذه المدينة قبل تصديره منها ، وقد علمنا ذلك من رواية للكاتب الرومانى « بلينى » (القرن الأول الميلادى) وهى توضح لنا من ناحية أخرى إلى أى مدى كانت البخور مادة ثمينة غالية الثمن فى نظر القدماء ، ومؤدى رواية بلينى أن العمال الذين كانوا يقومون بتصنيع البخور فى الإسكندرية (ربما يقصد من كلمة « تصنيع » ضغط حبات الكندر فى أشكال يسهل تداولها ، فقد كان المصريون القدماء يضغطونها أحياناً ويحولونها إلى أشكال أهرامات ومسلات) كانوا يحاولون سرقة البخور باخفائها فى مآزرهم ، فكان صاحب المصنع يختم هذه المآزر ، ولكنهم كانوا يتحايلون على سرقتها باخفائها فى قماش يضعونه فوق رءوسهم ، فكان صاحب المصنع يفوت عليهم غرضهم باجبارهم على الخروج من المصنع وهم عراة(٦٣) .

ونختتم هذا المقال بمقارنة سريعة بين الطرق التجارية التى كانتَ تمتد على جانبى البحر الأحمر والتى كانت البخور تنقل عبرها إلى الشمال مع سائر السلع الأخرى التى سبق أن ذكرناها . فنلاحظ من هذه المقارنة أن هناك تشابهاً كبيراً بين اتجاهات وطبيعة هذه الطرق ، كما أن هناك اختلافاً كبيراً أيضاً فى مدى أهمية كل منها .

فعلى كل من الجانبين الآسيوى والافريقى للبحر الأحمر كان يمتد طريقان ، أحدهما برى والآخر بحرى ، ولكن الطريق البرى الممتد على الجانب الآسيوى كان أقدم وأهم بكثير من الطريق البرى الممتد على الجانب الافريقى ، وعلى العكس من ذلك نجد أن الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الافريقى ، أقدم وأهم بكثير من الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الآسيوى ، والسبب فى ذلك يرجع إلى طبيعة السواحل كما يرجع إلى قدم الحضارة على كل من الجانبين الافريقى والآسيوى للبحر الأحمر .

فعلى الجانب الافريقى ظهرت الحضارة المصرية القديمة فى زمن أقدم بكثير من ظهور الحضارة العربية الجنوبية القديمة ، فأتجه نشاط المصريين القدماء منذ أقدم عصورهم إلى سواحل البحر الأحمر الواقعة إلى الجنوب من بلادهم بحثاً عن البخور كما سبق أن ذكرنا ، فازدهرت تجارة البخور (وسلع الترف) على هذا الساحل منذ عصر مبكر . وبعد انتهاء التاريخ المصرى القديم قامت دولة البطالمة اليونانية فى مصر ، فأسس هؤلاء الموانى على طول الساحل الافريقى (أو بالأحرى أعادوا استخدام هذه الموانى[٦٤] بعد أن توقف نشاط المصريين القدماء فيها نتيجة لتدهور الدولة المصرية القديمة وزوالها ، ثم أطلقوا عليها أسماء يونانية – انظر الخريطة شكل ١٢) للسيطرة على تجارته من ناحية ، ولاستخدامها كمراكز لصيد الفيلة التى كانوا يستخدمونها فى حروبهم ، من ناحية أخرى . فنشطت بذلك التجارة على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، وازداد هذا النشاط بقيام دولة أكسوم .

أما الطريق البرى على الجانب الافريقى فلم تكن له أهمية الطريق البحرى ، ربما بسبب ماكانت تعترضه من عقبات طبيعية فى داخل القارة الافريقية كالغابات والمستنقعات ، ومايكتنف القوافل المسافرة فيه من أخطار القبائل البدائية والأمراض الوبائية المتوطنة فى مناطقه الرطبة . ولذلك لم يزدهر هذا الطريق إلا فى عصر متأخر عندما قامت على جوانبه دولتان قويتان تؤمنان المرور فيه وهما دولة اكسوم ودولة كوش .

وبالنسبة للطرق التجارية على الجانب الآسيوى ، فقد كان الطريق البرى أقدم وأهم من الطريق البحرى ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى عاملين ، أولهما ، أن العرب بطبيعتهم كانوا بالدرجة الأولى تجار بر ، لاتجار بحر ، وثانيهما عدم صلاحية الشاطىء الآسيوى للبحر الأحمر لقيام الموانى عليه بالنسبة للساحل الافريقى ، ولذلك لانجد إلا ميناء واحداً أشتهر كميناء عربى قديم وهو ميناء « موزا » (مخا الحالى تقريباً) ، أما الموانى الأخرى فهى موانى يونانية أسسها اليونان وخاصة البطالمة للسيطرة على تجارة الجزيرة العربية ، وهذه الموانى هى « شارموثاس **Charmouthas** و « امبلونى **Ampelone** »[٦٥] وحتى هذه الموانى القليلة وصفها الكتاب اليونان بانها كانت رديئة وتشكل خطورة على السفن التى تحاول الرسو فيها[٦٦] . ولانعرف بالضبط المواقع الحالية لهذه الموانى .

وهناك ميناء ثالث له اسم يونانى أيضاً وهو « لويكى كومى » ومكانه الحالى ميناء الوجه فى الغالب ويرى البعض أنه كان ميناء نبطياً أسسه الأنباط بعد تخريبهم لميناء امبلونى (ربما أثناء صراعهم مع البطالمة) وفى مكانه ، ولكنهم لم يقدموا دليلا قوياً على ذلك[٦٧] ، وعلى العكس فان أسمه اليونانى يوحى بأنه من تأسيس اليونان أو الرومان ، بدليل أن الضابط الذى كان مكلفاً بجباية الضرائب على السلع المارة به كان يحمل لقباً يونانياً ، كما أنه كان يخضع للرومان فى القرن الأول الميلادى على الأقل[٦٨] .

وعلى العكس من ذلك ، نجد أن الطريق البرى الممتد على الجانب الآسيوى أقدم وأهم بكثير من الطريق البحرى ، بل ربما كان أهم الطرق التجارية على جانبى البحر الأحمر سواء منها البرية أم البحرية ، لدرجة أن الباحثين يطلقون عليه « الطريق التجارى العظيم » ، وكان هذا الطريق يبدأ من موانى جنوب الجزيرة العربية مثل « قنأ » وعدن ويمر بعواصم الدول العربية الجنوبية القديمة مثل شبوة وتمنع ومارب ومعين ، ومن هذه الأخيرة يتجه شمالا إلى نجران ثم يسير فى اتجاه شبه مستقيم نحو الشمال ماراً بالواحات التى كان أشهرها واحة العلا حيث قامت المستوطنة المعينية كما قامت الدولة اللحيانية ، ومن العلا يسير إلى البتراء عاصمة دولة الأنباط (عندما ظهرت هذه الدولة فى التاريخ منذ القرن الرابع قبل الميلاد) ، وقد بلغ من كثافة وضخامة القوافل المارة بهذا الطريق أن شبهها الكاتب الرومانى استرابون « بجيش عظيم يتحرك » وذلك عند وصفه للجزء الشمالى من هذا الطريق الذى يتجه نحو البتراء[٦٩] . ومن البتراء كان المسار الرئيسى للطريق يمر بشمال سيناء وينتهى عند ميناء غزة على ساحل البحر المتوسط .

ولما كانت البخور أهم سلعة تنقل عبر هذا الطريق يليها الذهب فقد أطلق عليه الباحثون أحياناً « طريق البخور ــ الذهب » وهكذا كان للبخور دور كبير فى رواج التجارة عبر الجزيرة العربية ، بل كانت عصب تجارة البحر الأحمر ، ولذلك كافح العرب القدماء واستماتوا فى الحرص عليها والاحتفاظ بها فى قبضتهم سواء بالأساليب المباشرة كالسيطرة على مناطق إنتاجها الأخرى التى قد تشكل عنصر المنافسة لها مثل منطقة شمال الصومال ، وبالتصدى للطامعين فيها من يونان ورومان ، أو بالأساليب غير المباشرة كترويج الأساطير المرعبة لصرف أنظار المغامرين عنها ، ولاشك أن هؤلاء العرب القدماء لم يكونوا يتصورون أن دولة البخور يمكن أن تدول ويأتى عليها يوم تنزوى فيه وتضمحل وتكاد تصبح فى ذمة التاريخ .

المصادر والمراجع

أولا : قائمة أبجدية باختصارات المصادر والمراجع والاسماء الكاملة لها

أ ـ المراجع العربية

● سيد ، الجمهورية الصومالية .

= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الجمهورية الصومالية ، دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الاقتصادية ونظم الصوماليين الاجتماعية وعاداتهم وعلاقتهم بمصر فى مختلف العصور ، القاهرة ، العدد ٢٩١ من سلسلة الألف كتاب ١٩٦٠ .

● سيد ، موقع بونت .

= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، محاولة لتحديد موقع بونت ، العدد رقم ٥ من مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية (دراسات تاريخية وأثرية) ، الاسكندرية ١٩٧٤ .

● سيد ، ميناء الأسرة الثانية عشرة :

= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر (تقرير عن حفائر بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية فى صحراء مصر الشرقية خلال موسمى عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧) مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٨ .

● عيسى ، اسماء النبات :

= أحمد عيسى ، معجم اسماء النبات ، القاهرة ١٩٦٠ .

● لوكاس ، المواد والصناعات :

= لوكاس ، الفريد ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم ، القاهرة .

ب ـ المراجع الافرنجية

- B.A.R.
= Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago, 1906 Repr. 1970
- Burton, Footsteps :
= Burton, R., First Footsteps in East Africa, 2 Vols., London 1894
- Chittick, Azania :
= Chittick, Neville, "An Archaeological Reconnaissance in the Horn, The British-Somali Expedition, 1975", AZANIA Vol. XI - 1976, p. 117 f.
- Conti Rossini, Chrestomathia :
= Conti Rossini, Karolus, Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica, Roma, 1931
- Dixon, The Transplantation :
= Dixon, D.M., "The Transplantation of Punt Incense Trees in Egypt" J.E.A. Vol. 55, 1969, p. 55 f.
- Doe, Arabia :
= Doe, Brian, Southern Arabia, London, 1971
- Golenischeff, Naufragé;
= Golenischeff, M.W., Le Conte de Naufragé, Paris, 1912
- Hepper, Frankincense :
= Hepper, F. Nigel, "Arabian and African Frankincense Trees" J.E.A., Vol. 55, 1969, p. 66 f.
- Herodotus, Hist.
= Cary, H., Herodotus History, Bohn's Classical Library, London, 1912
- Huntingford, Periplus :
= Huntingford, G.W.B., The Periplus of the Erythraean Sea, London, 1980
- J.E.A. :
= JOURNAL OF EGYPTIAN ARCHAEOLOGY, London.
- Lewis, The Horn:
= Lewis, I.M., Peoples of the Horn of Africa, London, 1955
- Müller, Use of Frankincense :
= Müller, Walter W., "Notes on the Use of Frankincense in South Arabia" Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 6-1976, p. 124 f.
- Müller, Frankincense :
= Muller, Walter W., "Arabian Frankincense in Antiquity according to Classical Sources" First International Symposium on Studies in the History of Arabia, University of Riad, 1977 (Still unpublished).
- Naville, Deir El Bahari :
= Naville, E., The Temple of Deir El Bahari, Part III, London, 1898
- Oliver, East Africa :
= Oliver, Roland, History of East Africa, The Early Period, Oxford, 1967
- Petrie, Tanis :
= Petrie, W.M.F., Tanis II (Nebeshah and Defnah), London, 1888
- Phillips, Oman :
= Phillips, W., Unknown Oman, 1966
- Pirenne, Corpus :

= Pirenne, Jaqueline, "Pyree cubique a quatre pieds"
= Pirenne, Jaqueline, "Deux pyrees cubiques a pieds du Musée de l'Université de Pennsylvanie" Corpus des Inscriptions et Antiquités Sud-Arabes, Tome I Section 2, Louvain, 1977, pp. 1. 275-1. 278 and pp. 1. 291-1. 292 respectively.
- Pliny, Nat. Hist. :
= Bostack, J. and Riley, H.T., The Natural History of Pliny, London, 1875
- Red Sea Pilot :
= British Admiralty, Red Sea and Gulf of Aden Pilot, 9th. ed. London, 1944
- Ryckmans, G, les noms propres
= Ryckmans, G,les Noms Propres Sud Sémitques, Tomes I-III, Louvain, 1934 - 1935
- Sayed, Discovery :
= Sayed, Abdel Monem A.H., "Discovery of the Site of the 12th. Dynasty Port at Wadi Gawasis on the Red Sea Shore" REVUE D'EGYPTOLOGIE, Tome 29, 1977, p. 139 f.
- Sayed, The Recently :
= Sayed, Abdel Monem A.H., "The Recently Discovered Port on the Red Sea Shore" J.E.A., Vol. 64, 1978 P. 69F.
- Sayed, Observations :
= Sayed, Abdel Monem A.H., "Observations on the Gawasis Discoveries", J.E.A., Vol. 66, 1980, p. 154 f.
- Schoff, Periplus :
= Schoff, Wilfred H., The Periplus of the Erythraean Sea, New York, 1912
- Strabo, Geography :
= Hamilton, H.C. and Falconer, W., The Geography of Strabo, Bohn,s Classical Library, London, 1889
- Tarn, Ptolomy :
= Tarn, W.W., "Ptolomy II and Arabia", J.E.A., Vol. 15, 1929, p. 9 f.
- Van Beek, Frankincense :
= Van Beek, Gus W., "Ancient Frankincense-Producing Areas", in, Bowen, R. Le Baron and
= Albright, F.P., Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958, p. 139 f.
- Wissman and Hötner, Beitrage
- Wissman, Hermann Von and Höfner, Maria,Beiträge Znr historischen Geographie des Vorislam-
Sudarabien, Mainz, 1953
ischen

ثانيا : تذييلات المصادر والمراجع

(١) Pliny, Natural History, Book XII, 54 .

(٢) عيسى ، أسماء النبات ، ص ٣٢ .

(٣) هذا التصنيف طبقا لأحدث الآراء فى هذا الموضوع وهو رأى الباحث النباتى « هبر » فى مقاله . Hepper, Frankincense, P. 66, pp. 69-70 وكان الباحثون قبله يقولون بأن النوع السائد فى ظفار هو B. Carteri مثل « فيليبس » فى كتابه Phillips, Oman, P. 183 وشف فى كتابه Schoff, Periplus, p. 218 ولكن هبر أثبت خطأ ذلك Ibid., 67

(٤) لوكاس ، المواد والصناعات ص ١٥١

(٥) Phillips, Oman, P. 183 ويختلف « هبر » أيضا مع « فيليبس » فى هذا الصدد إذ يقول أن الشق يجرى مرتين أحداهما فى شهر مايو والأخرى فى شهر ديسمبر (Hepper, Ibid., p. 71) .

(٦) Pirenne, Corpus, pp. 1.271, 1.291 ff. .

(٧) Müller, Use of Frankincense, p. 130 .

(٨) عيسى ، أسماء النبات ص ٣٢ .

(٩) Phillips, Oman, pp. 182-183 .

(١٠) Doe, Arabia, p. 20 .

(١١) Huntingford, Periplus, Chapter 29 .

(١٢) Lewis, The Horn, p. 73 .

(١٣) سيد ، الجمهورية الصومالية ص ١٢٥ .

(١٤) Müller, Use of Frankincense, p. 132 .

(١٥) Hepper, Frankincense, p. 69 .

(١٥/١) اختلف الباحثون حول الزمن الذى ألف فيه هذا الكتاب نظرا لعدم معرفة شخصية مؤلفه ، وتطرف بعضهم إلى حد ارجاعه للقرن الثالث الميلادى مثل « بيرن » فى كتابها

Pirenne, J., Le Royaume Sud-Arabe de Qataban et sa datation, Bibliotheque du Museon, 47, Louvain, 1961, pp. 161-181.

وذهب أخرون إلى أنه يرجع لأواخر القرن الثانى الميلادى اعتمادا على نسبة الكتاب لمؤلف يدعى « اريان » Arrian عاش فى ذلك الوقت ، وألف كتبا من نوع هذا الكتاب (عن مناطق أخرى) ، وأخيرا قام هنتنجفورد بدراسة لغوية لأسلوب الكتاب ، استبعد على أساسها نسبة الكتاب لاريان هذا ، وخلص من هذه الدراسة بارجاع تأليف الكتاب الى الفترة بين عامى ٩٥ ، ١٣٠ بعد الميلاد ، أى أن المؤلف يمكن أن يكون قد عاش إبان القرن الأول الميلادى وأن الكتاب يصف أحوال البحر الأحمر خلال هذا القرن . يراجع . Huntingford, Periplus, pp. 6-12. .

(١٥/٢) Schoff, Periplus, Chapter 7 and p. 75 .

(١٦) Ibid. Chap. 29 and p. 126 .

(١٧) Phillips, Oman, p. 196

(١٨) لمس كاتب المقال هذه الظاهرة إبان الفترة التى أمضاها فى الصومال فى أواخر الخمسينيات ، سيد ، الجمهورية الصومالية ص ١٢٥ ، ولكنه لا يستطيع أن يجزم إذا كانت مازالت مستمرة حتى الآن أم لا .

(١٩) Huntingford, Periplus, chap. 29 and map. No. 8 .

(٢٠) Pirenne, Corpus, p. 1.275 and Fig. p. 1.277 .

(٢١) Müller, Arabian Frankincense, p. 2 .

(٢٢) Conti Rossini, Chrestomathia, p. 112 .

(٢٣) Van Beek, Frankincense, pp. 140-141. .

(٢٤) Huntingford, Periplus, Chap. 27 .

(٢٥) Van Beek, Frankincense, p. 141 .

(٢٦) Phillips, Oman, p. 187 .

(٢٧) Huntingford, Periplus, Chap. 27 .

(٢٨) Phillips, Oman, p. 196-197 .

(٢٩) Ibid. .

(٣٠) Ibid. p. 201 .

(٣١) Niliptolemaion. See, Huntingford, Periplus, p. 92 .

(٣٢) Huntingford, Periplus, p. 93 .

(٣٣) Ibid. p. 92 .

(٣٤) Ibid. Chap. 10-12, cf. Schoff, Periplus, Chap. 10-12 .

(٣٥) Schoff, Periplus, pp. 81-86 ; Huntingford, Periplus, pp. 92-93 ; Chittick, Azania, pp. 118-133. .

(٣٦) Red Sea Pilot, p. 162 .

(٣٧) Ibid. p. 463

(٣٨) Ibid. p. 464 .

(٣٩) سيد ، الجمهورية الصومالية ص ٣٤٧ .

(٤٠) سيد ، موقع بونت ص ٧٤ وشكل ٥ .

(٤١) سيد ، الجمهورية الصومالية ص ٣٧٥ هامش رقم ٥ .

(٤٢) Schoff, Periplus, p. 85; cf. Chittick, Azania, p. 125 .

(٤٣) كان الرأى القديم بشأن موقع سوق العطور هذا أنه فى مكان مرفأ « الك » الحالى الواقع على بعد خمسة كيلومترات تقريبا غربى رأس جردفوى ، ولكن الحفائر الأثرية التى قام بها « تشيتيك » فى هذا المكان فى عام ١٩٧٥ أثبتت أنه «دامو» وليس « الك » . يراجع Chittick, Azania, p. 124 .

(٤٤) Burton, Footsteps, I, p. 77 .

(٤٥) B.A.R. I, Chap. 161

(٤٦) سيد ، ميناء الأسرة الثانية عشرة ص ٥٦ ــ ٦٦ وأيضا

Syyed, Discoveries, p. 146 f.

Sayed, The Recently, p. 69 f.

Sayed, Observations, p. 154 f.

(٤٧) نفس المصدر ، ص ٣٥ .

(٤٨) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 84 and B.A.R. II Chap. 287 .

(٤٩) The Transplantation p. 64 .

(٥٠) سيد ، موقع بونت ، ص ٥ ـ ٢٤ .

(٥١) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 70 .

(٥٢) Petrie, Tanis II p. 107 .

(٥٣) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 71 .

(٥٤) Oliver, East Africa, p. 65 .

(٥٥) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 69 .

(٥٦) Huntingford, Periplus, p. 124 .

(٥٧) Huntingford, Periplus, p. 124 .

(٥٨) Golenischeff, Naufragé, p. 231 .

(٥٩) Strabo, Geography, XVI, 4-24 .

(٦٠) Herodotusl Hist., III Chap. 107 .

(٦١) Huntingford, Periplus, pp. 148-149 .

(٦٢) Ibid., Chap. 5 .

(٦٣) Pliny, Natural History, XII ; cf. Huntingford, Periplus, p. 127 .

(٦٤) كثير من هذه الموانىء لها أسماء مصرية قديمة وردت في النصوص الهيروغليفية على الآثار المصرية التى ترجع للعصر الفرعوني نفسه ، وقد نشرنا بعضها في مقال سابق (تراجع ص ١٩٥ من المجلد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) ، وفي ذلك المقال اتخذنا من ورود أسماء مصرية قديمة على الآثار المصرية لبعض موانى الساحل الافريقي للبحر الأحمر وخليج عدن ، وعدم ورود أية أسماء لموانىء الساحل الآسيوى لهما ، (فيما عدا سيناء) ، دليلا على عدم وجود اتصال مباشر بين المصريين القدماء وبين الجزيرة العربية ، أى عدم إبحار المصريين القدماء إلى موانيها ، واقتصارهم في ذلك على الساحل الافريقي (وانظر ايضا الخرائط شكل ١٠ وشكل ١٢) .

(٦٥) Tarn, Ptolemy, pp. 14, 17 .

(٦٦) Ibid., p. 15 .

(٦٧) Ibid. p. 23 .

(٦٨) Huntingford, Periplus, Chap. 19 .

(٦٩) Strabo, Geography, XVI, 4-23 .

(شكل ١) شجرة كندر (لبان – بخور) من نوع Boswellia Sacra ويطلق فى ظفار على الكندر الذى يستخرج منها اسم « نجدى »

(شكل ٢) شجرة كندر من نوع B. Sacra ايضا ويطلق فى ظفار على الكندر الذى يستخرج منها اسم « شعبى »

(شكل ٣) غصن شجرة كندر من نوع *B. Sacra* ويلاحظ
آثار الشقوق التى عملت لاستخراج العصارة

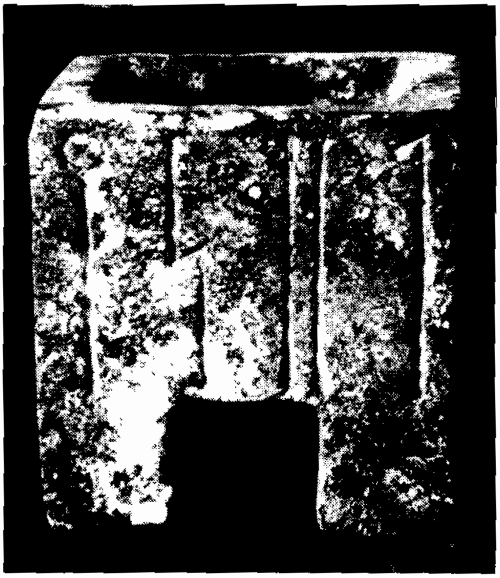

(شكل ٤) محرق بخور يمنى قديم حفرت على أحد جوانبه
كلمة « لبنى » بالمسند وهى الأصل فى كلمة « لبان »
العربية الحالية .

(شكل ٥) شجرة كندر (لبان – بخور) من نوع *B. Frereana* التى تكثر فى شمال الصومال ويلاحظ الانتفاخ أسفل جذع الشجرة

(شكل ٦) اشجار كندر من نوع **Boswellia Carteri** التى تنمو فى شمال الصومال ايضا ويلاحظ نمو الشجرتين على المنحدرات الصخرية والانتفاخ الذى ترتكزان عليه عند اتصال الجزع بالارض .

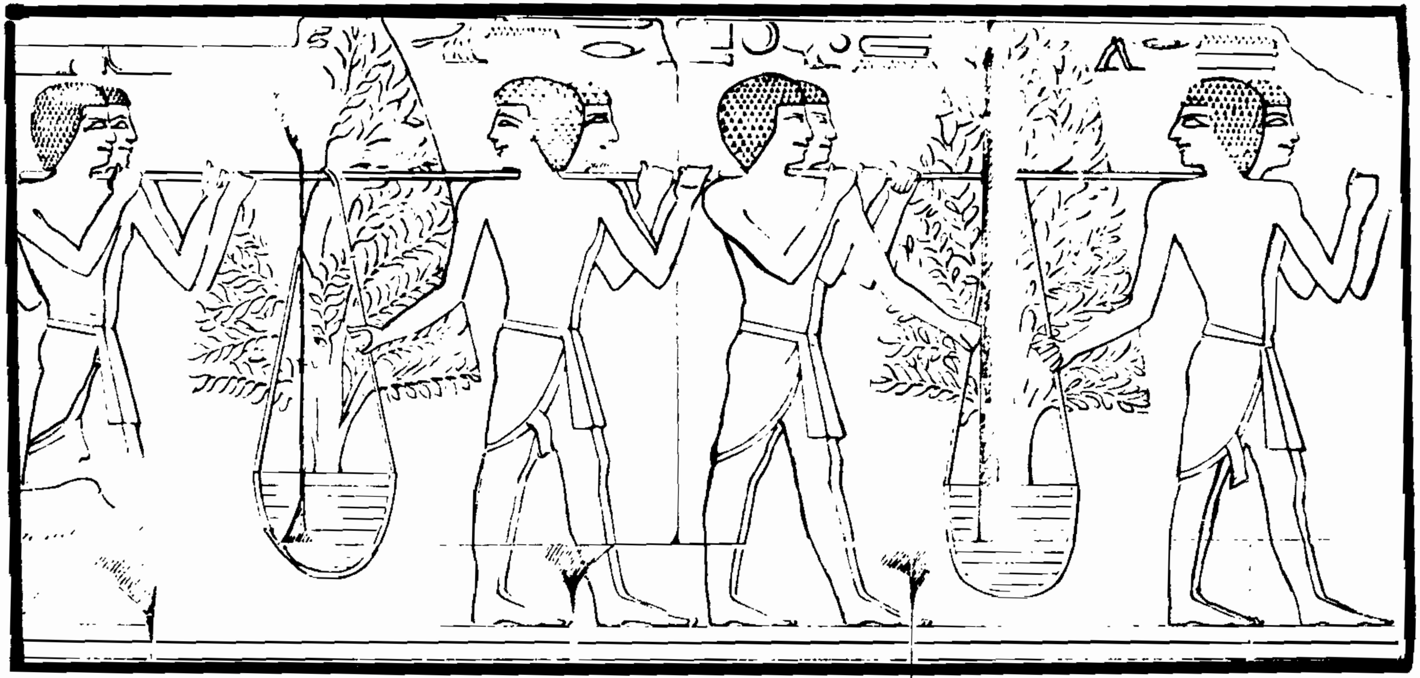

(شكل ٧) منظر ورد على معبد الدير البحرى يمثل البحارة المصريين وهم يحملون اشجار البخور فى اصص بعد اقتلاعها من مدرجات البخور فى شمال شرق الصومال (بلاد بونت) لنقلها فى السفن المصرية إلى مصـــر لزراعتها . والمنظر يرجع الى حوالى عام ١٥٠٠ق.م.

(شكل ٨) منظر ورد ضمن رسوم معبد الدير البحرى بالاقصر يمثل امير بلاد البخور (بونت) وزوجته وأبناءه وإحدى بناته وهم يرفعون ايديهم تحية للمصريين
الذين جاءوا للحصول على الكندر واشجاره ويلاحظ على الزوجة والابنه الخصائص الجسدية التى تميز النساء الافريقيات وخاصة الزنجيات منهن ، مما
يدل على اختلاط المهاجرين الساميين من الجزيرة العربية (ويمثلهم الامير بملامحه السامية) بالسكان الافريقيين ..

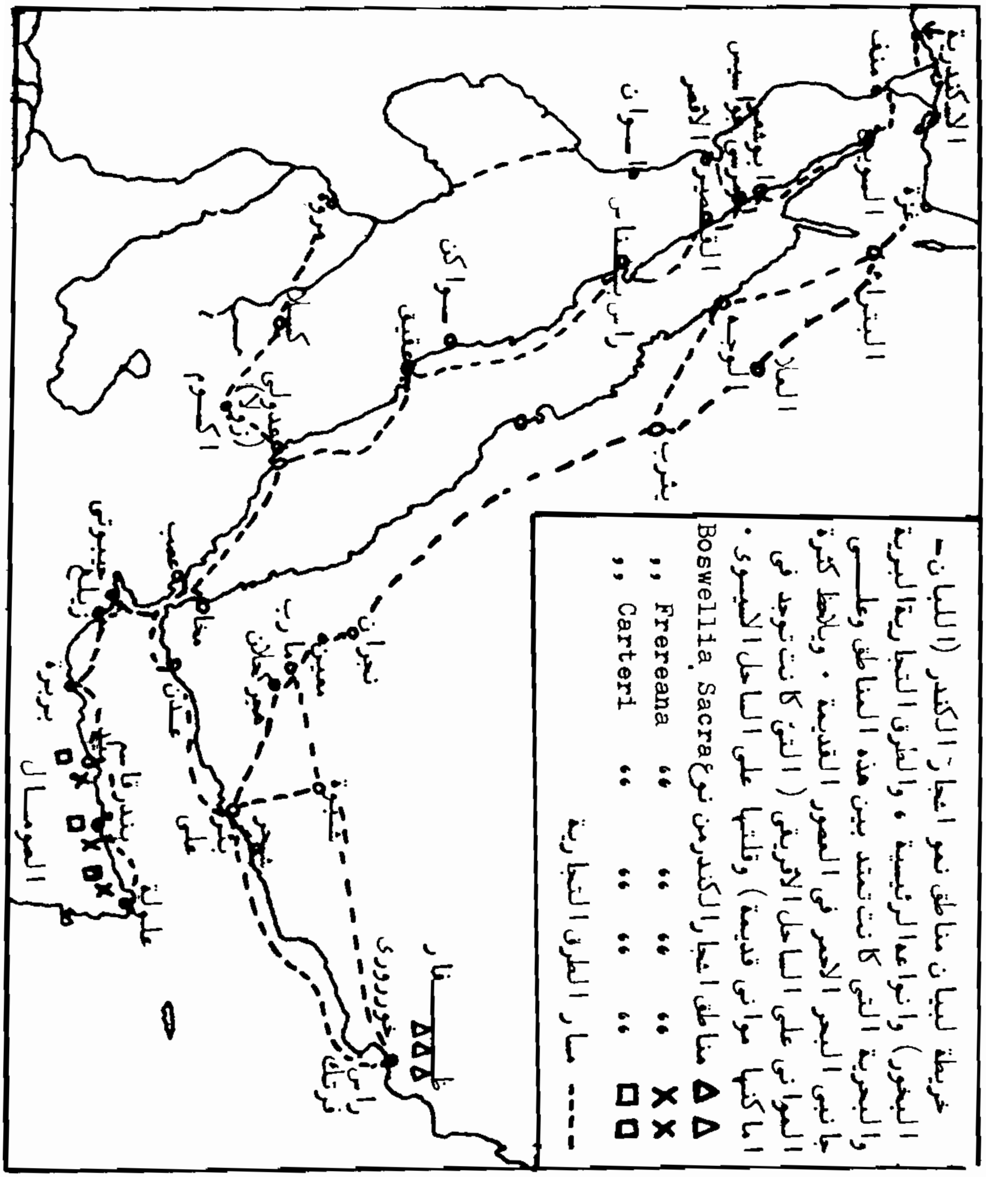
خريطة لبيان مناطق نمو اشجار الكندر (اللبان - البخور) وانواعه الرئيسية ، والطرق التجارية البرية والبحرية التى كانت تمتد بين هذه المناطق وعلى جانبى البحر الاحمر فى العصور القديمة ، ويلاحظ كثرة الموانى على الساحل الافريقى (التى كانت توجد فى اماكنها موانى قديمة) وقلتها على الساحل الاسيوى .
مناطق اشجار الكندر من نوع Boswellia Sacra
Frereana
Carteri
مسار الطرق التجارية
الاسكندرية
غزة
منف
السويس
البتراء
العلا
الوجه
يثرب
ابوشعر
ميوس هرمز
القصير
الاقصر
اسوان
راس بناس
سواكن
عقيق
مروى
كسلا
هودولى (زولا)
اكسوم
مخا
عصب
عدن
نجران
معين
مارب
هجر كحلان
شبوة
بئر على
شحر
خورروری
راس فرتك
ظفار
جيبوتى
زيلع
بربرة
بندر قاسم
علولة
الصومال

الاسماء القديمة لاهم مراكز تجارة البخور (وسلع الترف) على امتداد الطرق التجارية البرية والبحرية في مناطق البحر الاحمر (تراجع اسماء المواقع في منطقتيها نتاج الكندر على الخريطتين التاليتين).

في الجانب الاسيوى: الاسم الحالى	الاسم اليونانى الرومانى	الاسم في نقوش المسند	نطقه	في الجانب الافريقي: الاسم الحالى	الاسم اليونانى الرومانى	الاسم في النصوص الهيروغليفية	نطقه
بئرعلى	Cana,Kana	[illegible]	قنا	ميد	Mundus	[illegible]	ممتو
عدن	Eudamon Arabia	[illegible]	عدن	بربرة	Malao	[illegible]	منسيو
شبوة	Sabata	[illegible]	شبوة	زيلع	Avalites	[illegible]	وزلت
هجركحلان	Tamna	[illegible]	تمنع	عدولى	Adulis	[illegible]	ودنت
مارب	Mariaba	[illegible]	مرب	راس بناس	Berenice	[illegible]	تبنخب
معين	Minaei	[illegible]	معن	القصير	Leukos Limen	[illegible]	ثاعو
نجران	Negrana	[illegible]	نجرن	مرسى جواسيس	Philoteras	[illegible]	ساو
الوجه	Leuke Kome?	—	—	ابوشعر القبلى	Myos Hormos	[illegible]	مستى
العلا	?	[illegible]	ددن	عقيق	Ptolemaios Theron	[illegible]	خمتى
البتراء	Petrae	—	—	السويس	Arsinoe	?	
مخا	Muza	[illegible]	مخون				

عن الاسماء الهيروغليفية، راجع: سيد محمد عبد المنعم عبد الحليم، الصلات بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الاحمر (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة الاسكندرية ١٩٧٣. وعن الاسماء في المسند راجع:

1. Ryckmans, G; Les noms propres, 1934 — 2. Wissman and Höfner, Beiträge, 1953.

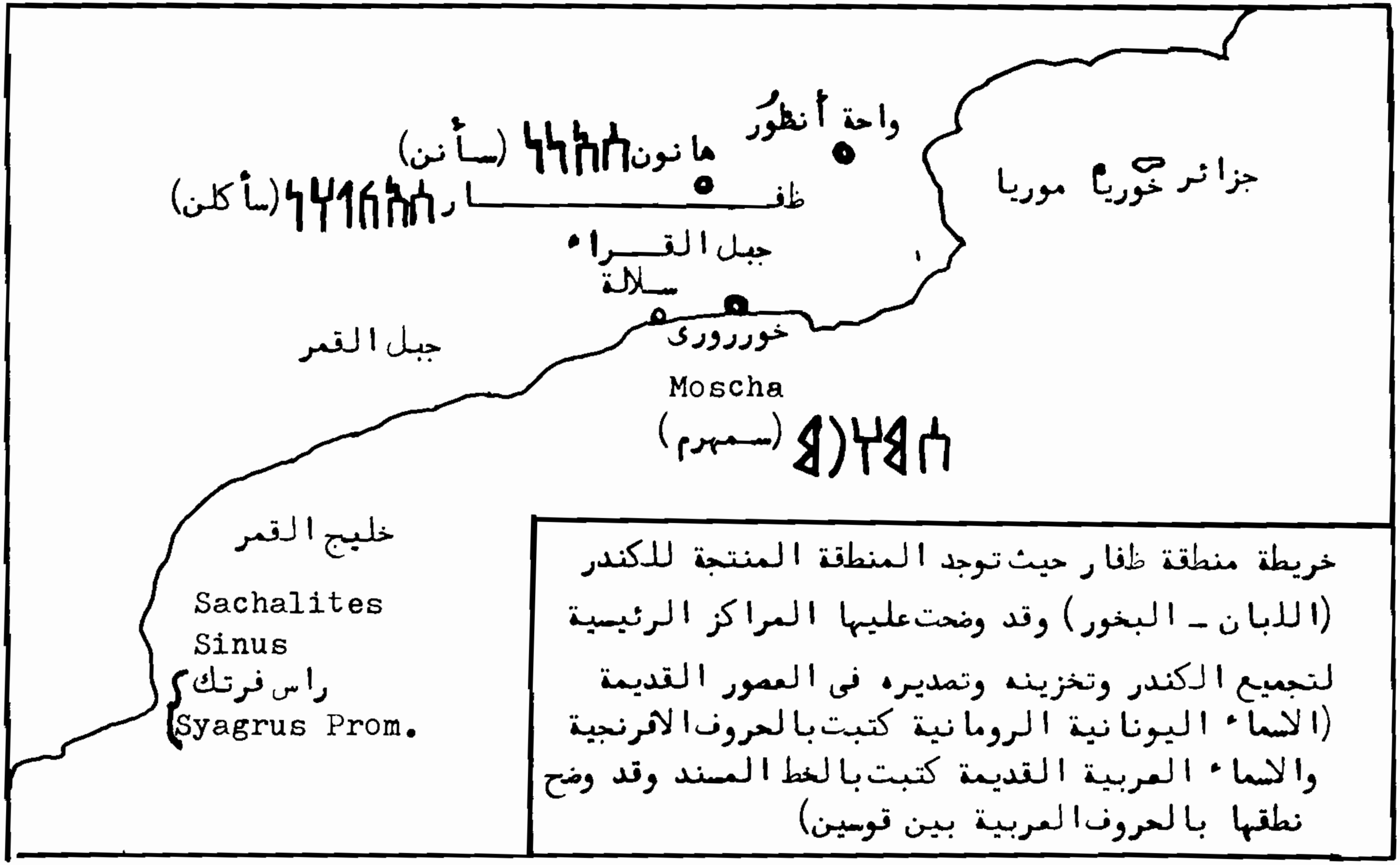

خريطة منطقة ظفار حيث توجد المنطقة المنتجة للكندر (اللبان - البخور) وقد وضحت عليها المراكز الرئيسية لتجميع الكندر وتخزينه وتصديره فى العصور القديمة (الاسماء اليونانية الرومانية كتبت بالحروف الافرنجية والاسماء العربية القديمة كتبت بالخط المسند وقد وضح نطقها بالحروف العربية بين قوسين)

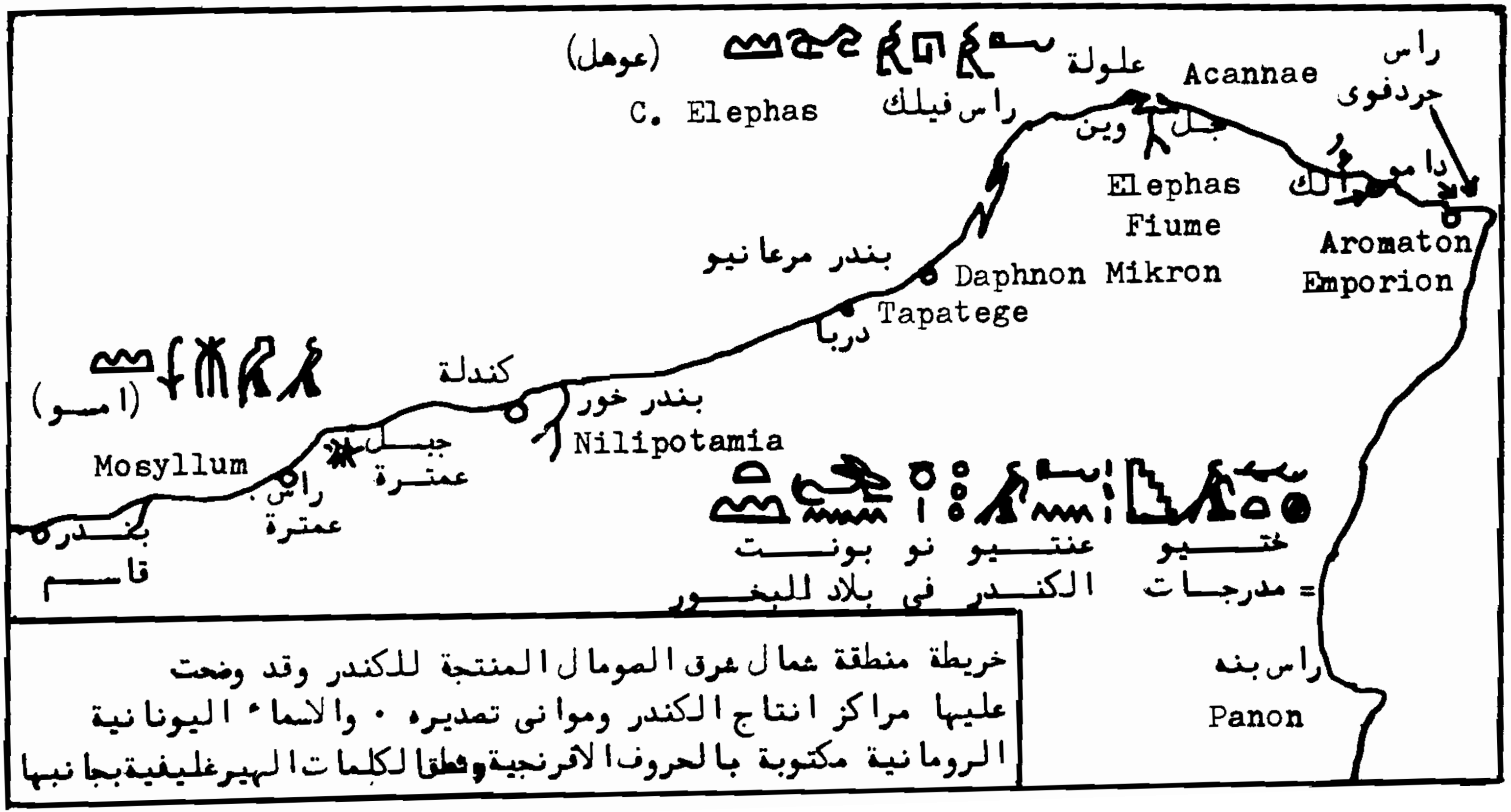

خريطة منطقة شمال شرق الصومال المنتجة للكندر وقد وضحت عليها مراكز انتاج الكندر وموانى تصديره . والاسماء اليونانية الرومانية مكتوبة بالحروف الافرنجية وفقا لكلمات الهيرغليفية بجانبها

INCENSE, THE BACKBONE OF THE RED SEA TRADE IN ANCIENT TIMES

Dr : Abdul Monem Abdul Haleem Sayyed
Associate Professor - Department of History

Abstract

The Red Sea regions were famous for the production of incense in ancient times, particularly the species which is called "frankincense". The best kinds of frankincense were brought from the regions which flanked the gulf of Aden, i.e. in N.E. Somaliland and in Dhufaar. They are the same producing areas nowadays.

Incense was a far more lucrative commodity in ancient times than nowadays, a fact which is due to the use of great quantities of incense in the temples and tombs of the ancient heathen peoples. According to their ideas, no ritual could be performed without the magic power of the incense fumes for they had a belief in a kind of correlation between religion and magic. Such beliefs prevailed in all heathen religions before monotheistic beliefs liberated the human mind from magic.

In addition to this religius factor, incense was the principal aromatic used for secular purposoes in ancient times, so we can understand why it was the most lucrative commadity for the people who controlled its production and trade.

Therefore, frankincense formed the major economic pillar of the ancient Red Sea regions, particularly South Arabia. The ancient South Arabians strained every nerve to keep the frankincerse producing areas and trade routes under their control. They also tried to impose their supremacy on other producing areas outside Arabia, i.e. in N.E. Somaliland.

The frank incense trade followed several land and maritime routes towards the northern parts of the Red Sea. The most important land route was that which passed through the hinterland of the Asiotic coast of the Red Sea, while the most favourable maritime route was that which ran close alongside its African coast.